تعريف الاثنوغرافيا الأثرية (الاثنواركيولوجيا) وعلاقة علم الآثار بالاثنوغرافيا

Azhari Mustafa Sadig

الزمن
الحاضر
الماضي
نوع الثقافة
ثقافات لها كتابة
ثقافات لا تمتلك كتابة
ثقافات لها كتابة
ثقافات لا تمتلك كتابة
المناهج التحليلية
المناهج التركيبية
المناهج العامة
الفنون القديمة
الكتابات القديمة
الاثنواغرافيا
العلوم الاجتماعية الاساسية الاخرى
الفنون القديمة
التاريخ وخلافه
ما قبل التاريخ
التاريخ الحي - السلالي
الاثنولوجي
الانثروبولجيا الثقافية
الانثروبولجيا الطبيعية
الانثروبولجيا الاجتماعية
الانثروبولجيا اللغوية
الانثروبولجيا اللغوية

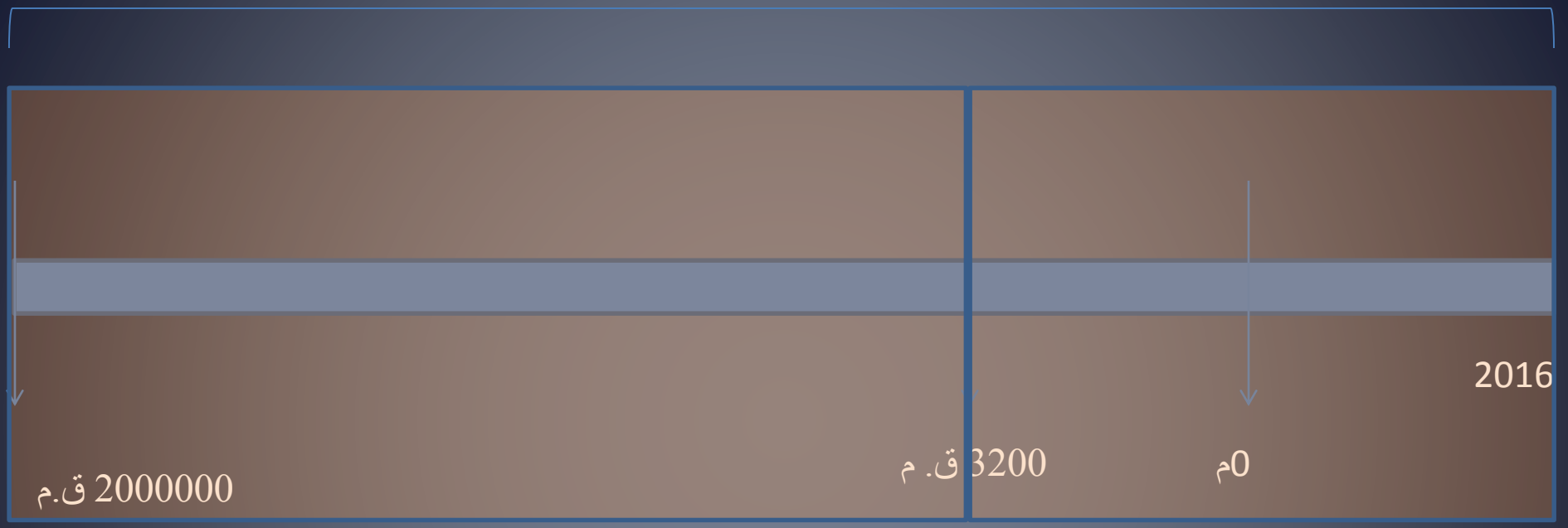

5000 عام

%1

التاريخ

%99

2000000 عام

%99

م قبل التاريخ

%1

- يقصد بالاثنواركيولوجي (علم الآثار الحية) دراسة المجتمعات الحية لفهم وتفسير السجل الآثاري. ويقصد بالمجتمعات الحية تلك المجتمعات التي تعيش في مستوى اقتصادي واجتماعي وثقافي بسيط ومراقبة معسكراتها وملاحظة نشاط ساكنيها وذلك من اجل تسجيل الأنماط الملاحظة اثارياً ومعرفة النشاطات التي أوجدت تلك الأنماط
- وتعرف كذلك بأنها منهج آثاري/أنثروبولوجي يقوم على إجراء الدراسات الحقلية وفق معايير معينة لعناصر الثقافة المادية للمجتمعات الحاضرة بمستوياتها الثقافية المختلفة بدءاً بما تبقى من جماعات الصيد والجمع الى المجتمعات الحضرية والصناعية

- بشكل عام كانت الدراسات الاثنواركيولوجية الأولى تركز على نشاطات لموجودات معينة ودراسة معسكرات الصيد وجمع الثمار التى قد تقدم وسائل لتفسير المعسكرات الإنسانية المبكرة في اولدفاي وغيرها. ولكن في الأعمال اللاحقة كان التركيز على تطوير وسائل آثارية في الاستدلال يمكن من خلالها وصل الفجوة ما بين الماضي

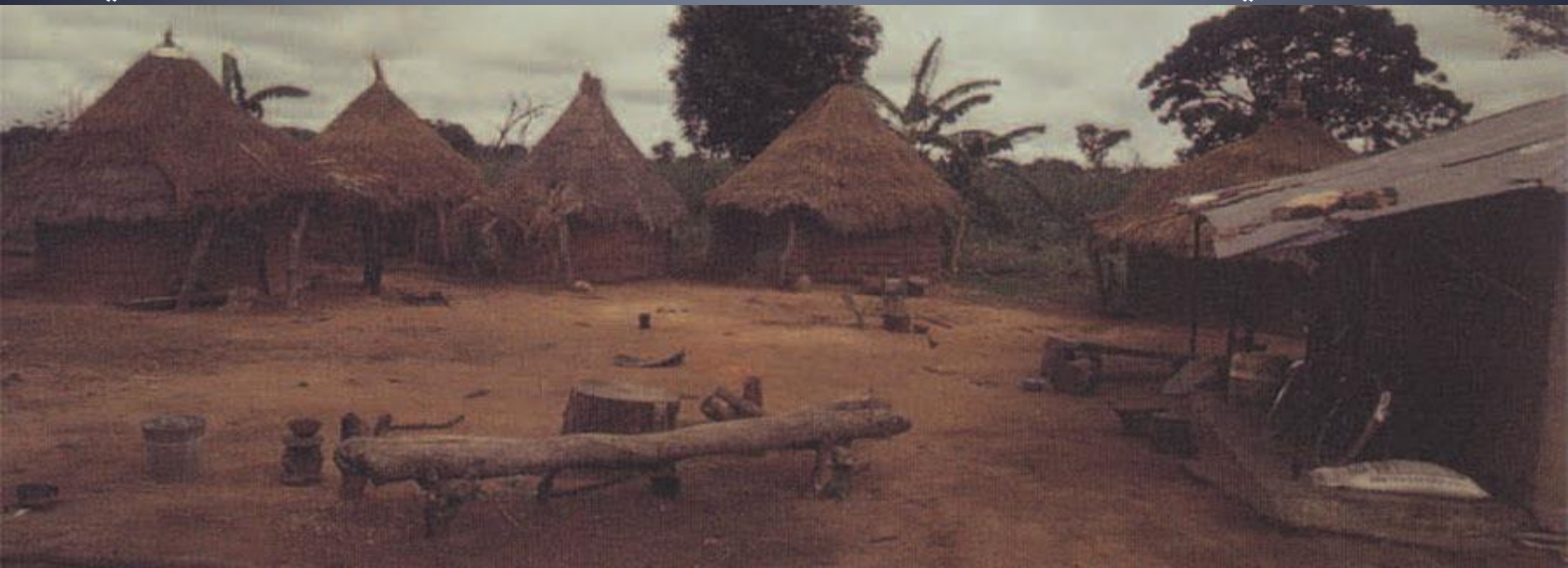

يــرى الــبعض أن الاثنواركيولــوجى شــكل مــن أشــكال الاثنوغرافيا يعتمد في الأساس على المادة (Material). كما يعتبره آخرون مجموعة من المعومات والدلائل الملاحظة على السلوك الإنساني والتي يمكن من خلالها إجراء فرضيات للمقارنة مع الموجودات المستخرجة من الحفريات او المدروسة فى المعامل.

المصطلحات البديلة

- كثيرا ما تستخدم مصطلحات بديلة مثل علم الآثار الحية او المعاشة (living Archaeology) والذي ادخله ريتشارد قولد وهو احد اهم المهتمين بتطوير الاثنواركيولوجيا وذلك في مطلع الثمانينات من القرن العشرين.
- هناك ايضا مصطلح الآثار السلوكية (Behavioral Archaeology) لميشيل شيفر والذي يرى ان البحث الاثنواركيولوجي يقوم على متابعة السلوك الانساني في مجتمع بدائي معاصر او تقليدي او صناعي لتسجيل انماطه وما ينتج عنها من اشياء مادية.
- وكذلك تعرف بالأثنوغرافيا الآثارية او الآثار الانثروبولوجية. ومن المصطلحات القديمة التي ارتبطت بالاثنواركيولوجيا مصطلح الآثار التجريبية (Experimental Archaeology) الذي يعني باجراء التجارب العلمية مثل تشكيل الأدوات الحجرية واستعمالها وعمل الأواني الفخارية وتتبع عمليات تشكيلها وغيرها ، والغرض من ذلك التعرف الى التجربة الانسانية في العصور القديمة وذلك من خلال رصد الملاحظات الدقيقة عن خواص المواد الطبيعية ومستويات تقنيات

- وعلى كل فان من أهم أهداف الدراسات الاثنواركيولوجية هي ملاحظة مميزات السلوك الثقافي الاجتماعي المعاصر من خلال منظور آثاري. بمعنى آخر هو الدراسة المنظمة لتعريف العلاقة بين السلوك والثقافة المادية والتحقق من كيفية انعكاس مظاهر محددة من السلوك في المخلفات التي يجدها الاثاريين.

بدايات الدراسة الاثنواركيولوجية

كانت العديد من الدراسات الاثنوغرافية ذات الأغراض الاثارية والتى تمت في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين دراسات تفتقد للإطارين المنهجي والنظري. فقد استخدمت المعلومات الاثنوغرافية التى تم جمعها في تفسير المعلومات الاثارية من خلال مناهج أخرى مثل منهج التاريخ المباشر. وكان هناك نقص واضح في الأوصاف الدقيقة للثقافة المادية وهى من الأشياء الهامة للاثاري .

1

بدايات الدراسة الاثنواركيولوجية

ومع نمو الاتجاهات التفسيرية التي تسعى لتفسير الدلائل الاثارية عم استياء أو عدم رضا عن المعلومات الاثنواركيولوجية المستندة اساساً على ملاحظات اثنوغرافية. ومنذ الخمسينات من القرن العشرين ازدادت اعداد الاثاريين الذين يقومون بدراسات اثنوغرافية. وفى تلك الفترة قدمت دراسات علماء مثل كليندينست (Kleinienst) وواتسون (Watson) وأشير (Ascher) الدافع للتطور الحالي للدراسات الاثنواركيولوجية .

2

بدايات الدراسة الاثنواركيولوجية

في عام 1962 نشر الامريكي لويس بنفورد مقالاً بعنوان "علم الآثار كعلم الأنثروبولوجيا" يرى الكثيرون أنه بداية لتحول هام ورئيس في علم الأُثار واحتوى المقال على نقد صريح للمناهج التى استخدمها الآثاريون الأوائل والنتائج التى توصلوا إليها فيما يتعلق بالتاريخ الثقافي

3

بدايات الدراسة الاثنواركيولوجية

- وقد تناولت الدراسات الأكثر حداثة (منذ نهاية السبعينات) مجتمعات معاصرة معينة لدراستها على أساس احتمال امتلاكها لأسس اقتصادية أو بيئية مماثلة للثقافات الاثارية . ومن هذه الدراسات دراسات يلين (Yellen) للبوشمن (1977) ، دراسات بنفورد (Binford) للإسكيمو (1978، 1979). وقد ركزت هذه الدراسات بشكل عام على دراسة الفخار وأنماط الاستيطان والمنازل والمدن والمعسكرات. كما سعت لتقديم اقتراحات عامة تتعلق بالعلاقات بين الثقافة المادية وأنماط السلوك الثقافي-الاجتماعي.

4

الاثنوغرافيا ETHNOGRAPHY

Ethno: ناس او شعب; *Graphy:* وصف شيء

= Ethnography: وصف ومعرفة الشعوب من خلال دراسة محددة

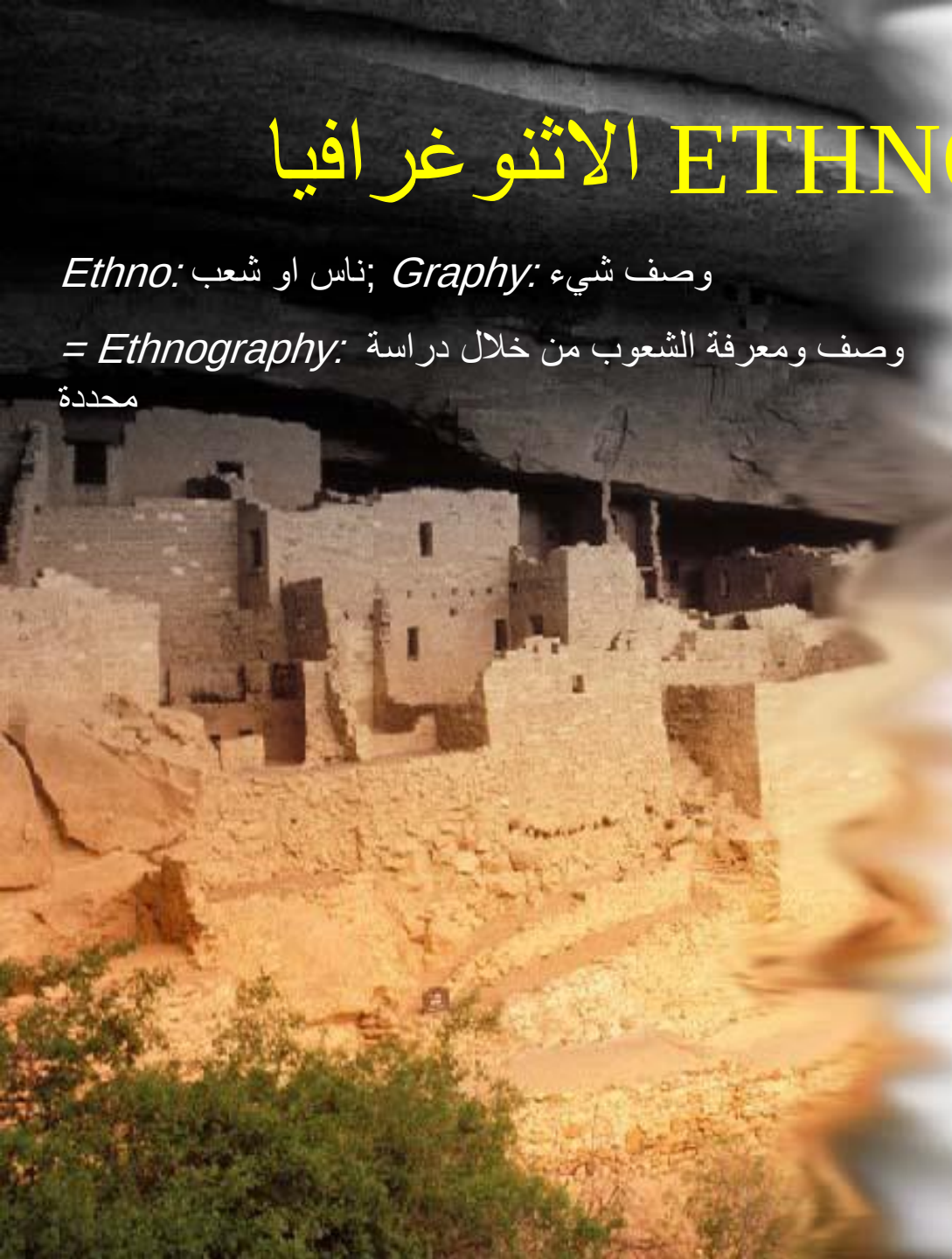

الاهداف

المنهج

امثلة

الإيجابيات والسلبيات

تعريفات

- الاثنوغرافيا والاثنولوجيا من مجالات دراسة الانثروبولوجيا ولذلك فان تعريفهما يرتبط ارتباطاً وثيقا بتعريفنا لعلم الانثروبولوجيا.
- تعرف الانثروبلوجيا بأنها علم الإنسان ، وهى كلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين هما: أنثروبوس (Anthropos) بمعنى الإنسان ، ولوجوس (Logos) بمعنى العلم. وهى تتناول الإنسان من عدة جوانب :

الجانب البيولوجي: بمعنى دراسة الإنسان كعضو في المملكة الحيوانية ودراسة اصله ونشأته وعلاقته بالكائنات الحية الأخرى والأجناس البشرية والعوامل التي أدت إلى نشأة هذه الأجناس وتنوعها. ويعرف هذا الجانب باسم الانثروبلوجيا الفيزيقية أو الطبيعية (Physical Anthropology).

الجانب الاجتماعي: بمعنى النظر إلى الإنسان كعضو في المجتمع . ودراسة الظواهر الاجتماعية في المجتمعات المختلفة .ويعرف هذا الجانب باسم الانثروبلوجيا الاجتماعية (Social Anthropology).

الجانب الثقافي: بمعنى النظر إلى الإنسان باعتباره الكائن الوحيد الحامل للثقافة ، وباعتباره الوحيد الذي يملك زمام الاتصال من خلال اللغة . وباعتباره ايضاً يملك العديد من طرق التربية أو التنشئة الاجتماعية (Socialization) ...الخ.
وتشمل الانثروبلوجيا الثقافية ثلاثة فروع رئيسية وهى:

فروع الانثروبلوجيا الثقافية

- **الاثنوغرافيا Ethnography: وهى الدراسة الوصفية المقارنة لمجتمعات وثقافات الإنسان القائمة الآن بالفعل . كما تقوم الدراسة الاثنوغرافية بتصنيف الشعوب وعقد المقارنات بين اوجه الشبه والاختلاف فيما بينها. ومن ناحية أخرى فإنها تعنى الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة.**

- اللغويات Linguistic : تهتم الانثروبلوجيا اللغوية بوصف وتحليل تعقيدات الأسر اللغوية المختلفة واصلها وتوزيعها والعلاقات بينها .. الخ .

- ويدرج علم الآثار في أمريكا ضمن الانثروبلوجيا الثقافية . باعتبار أن علماء الآثار هم أنثروبولوجيون متخصصون في إعادة بناء وتحليل ثقافات الماضي . في الجانب الآخر يختلف معنى الانثروبلوجيا الثقافية من بلد إلى آخر حيث تشار إليها في فرنسا مثلاً باسم الاثنولوجى أو الاثنوغرافيا وفى بعض الأحيان تدرس الانثروبلوجيا الثقافية تحت مظلة علم الاجتماع (Sociology). وكذا الحال مع الآثار الذي يعتبر علم قائم بذاته في دراسة الإنسان وثقافته. كما يضم علم الآثار فروعاً أخرى تساهم إلى حد كبير في دراسة الإنسان من كافة جوانبه مثل علم الآثار البيئي وعلم آثار ما قبل التاريخ وعلم الآثار التاريخي .. الخ . ومن فروعه الهامة الاثنواركيلوجى (Ethnoarchaeology) والذي يعرف ايضاً باسم علم الآثار الحي (Living Archaeology) .

البحث الاثنوغرافي

- يعتمد البحث الاثنوغرافي على الباحث كأداة رئيسية في جمع المعلومات حيث ينظر الباحث إلى السلوكيات والممارسات الاجتماعية نظرة كلية شمولية ضمن إطار الأبعاد الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والتنظيمية ويعتمد الباحث لتحقيق ذلك عدد من الأدوات أبرزها المقابلة المتعمقة، والملاحظة بالمشاركة، وتحليل الوثائق والمجلدات ودراسة الآثار المادية والسير الذاتية

خصائص البحث الاثنوغرافي

- يهدف إلى فهم السلوك الإنساني.
- يتم في مواقف طبيعية بدراسة السلوك في سياقه الطبيعي.
- يقوم على دراسة حالة واحدة لمجتمع صغير أو جماعة معينة.
- يعتمد على الملاحظة المباشرة للباحث.
- يختبر ما يحدث فعلياً دون الاعتماد على آراء مسبقة.
- يعتمد على جمع مكثف للبيانات يمتد لفترة زمنية قد تطول.

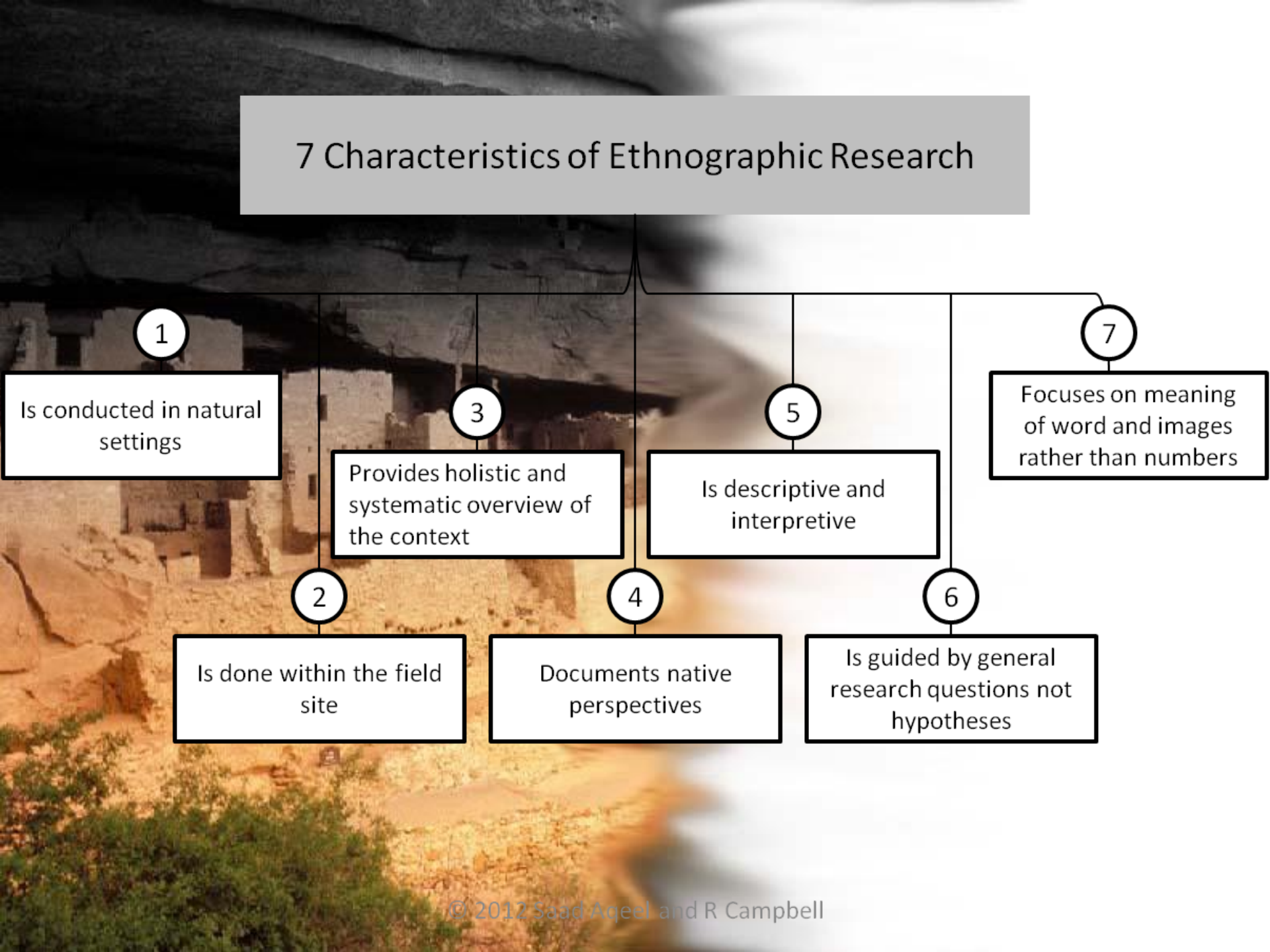

© 2012 Saad Aqeel and R Campbell

- الاثنوغرافيا من أقدم فروع المعرفة في علم الأنثربولوجيا عندما قام الأوربيون بوصف القبائل والشعوب المحلية في أمريكا وإفريقيا واستراليا واسيا حيث وصفوا أدواتهم وعاداتهم وتقاليدهم وكل مايتصل بثقافاتهم المادية المختلفة وسرعان ما تبني الانثروبولوجيون هذه المعلومات واستخدموها في دراساتهم لتطوير المجتمع البشري ،
- إما في علم الآثار فقد استخدمت هذه المعلومات من المجتمعات البدائية والبسيطة والتقليدية لنماذج لمجتمعات ما قبل التاريخ والتاريخ القديم وذلك عن طريق عقد المقارنات البسيطة وحتى أسماء ووظائف الأدوات التي توجد في المواقع الأثرية أخذت من ماهو معروف لدى الشعوب البسيطة التي درسها ووصفها الاثنوغرافيون . وهكذا فإن استخدام الاثنوغرافيا في الآثار قديم قدم العلم نفسه

- **الاثنولوجيا Ethnology: وموضوعها الأساسي هو الثقافة . أي أنها تركز على دراسة سلوك الإنسان أينما وجد. وهى تهدف إلى تسجيل الأشكال والأنماط السلوكية في أي مكان . وكلمة الاثنولوجيا ذات اصل يوناني (اثنوس) Ethnos بمعنى دراسة الشعوب ولذلك فهي تدرس خصائص الشعوب اللغوية والثقافية والسلالية أي دراسة الصفات والخصائص المميزة لأجناس الإنسان من حيث الملامح الفيزيقية والخلقية السائدة بين البشر وكذلك العلاقات القائمة التي تربط بين الأجناس.**

الدراسة الاثنولوجية

- وبشكل عام فان أهداف الدراسة الاثنولوجية كما يلي :
- دراسة خصائص الشعوب اللغوية والثقافية والسلالية.
- دراسة الصفات والخصائص المميزة للأجناس الإنسانية من حيث الملامح الفيزيقية والخلقية السائدة.
- دراسات العلاقات القائمة بين الأجناس والشعوب.

- أما المناهج التي تتم بها دراسة الظاهرات والنظم الاجتماعية فهي تنقسم إلى نوعين :
- **المنهج التحليلي الاثنولوجي:** وهو الذي يستند إلى التاريخ فيما يتعلق بدراسة تلك الظاهرات بالرجوع إلى فهم ماضيها وتطوراتها على مر العصور التاريخية. وقد مر هذا المنهج بمرحلتين:
- **اولاً:** الاتجاه الذي تأثر بالنزعات الدارونية في بحثها عن اصل الأنواع. وبالتالي آمن أصحاب هذا الاتجاه بفكرة التطور وطبقوها تطبيقاً خاطئاً في تفسير النظم والظاهرات الاجتماعية.
- **ثانياً:** الاتجاه الرافض لنظرية التطور والداعم للمنهج الاثنولوجى الحديث الذي يدرس النظم ويفسر الظاهرات لا عن طريق دراسة أصولها بل عن طريق تتبع عناصر الثقافة وجمع كل المعلومات التي تتعلق بها وذلك بدراسة مصادر انتشارها ثم ترتيبها ترتيباً خاصاً من البسيط إلى المركب.
- المنهج الثاني يتعلق بدراسة انتشار تلك الظواهر ومصادر انتشارها .

الفرق بين الاثنوغرافيا والاثنولوجي:

- والفرق بين الاثنولوجي والاثنوغرافيا هو أن الاثنوغرافيا تقوم بدراسة تتعلق بالأحداث والوقائع التي تحدث في عدد من المجتمعات في وقت معين بالذات ولذلك فهو دراسة وصفية تعرف في علم الاجتماع باسم الدراسة الآنية او المتزامنة . أما الاثنولوجي فإنه يعالج الظاهرة المعينة في ضوء ماضيها وتدرس الوقائع كما تحدث وتقع عبر الزمن. ويعرف هذا النوع من الدراسة باسم الدراسة المتتابعة او التي تقع عبر الزمن.

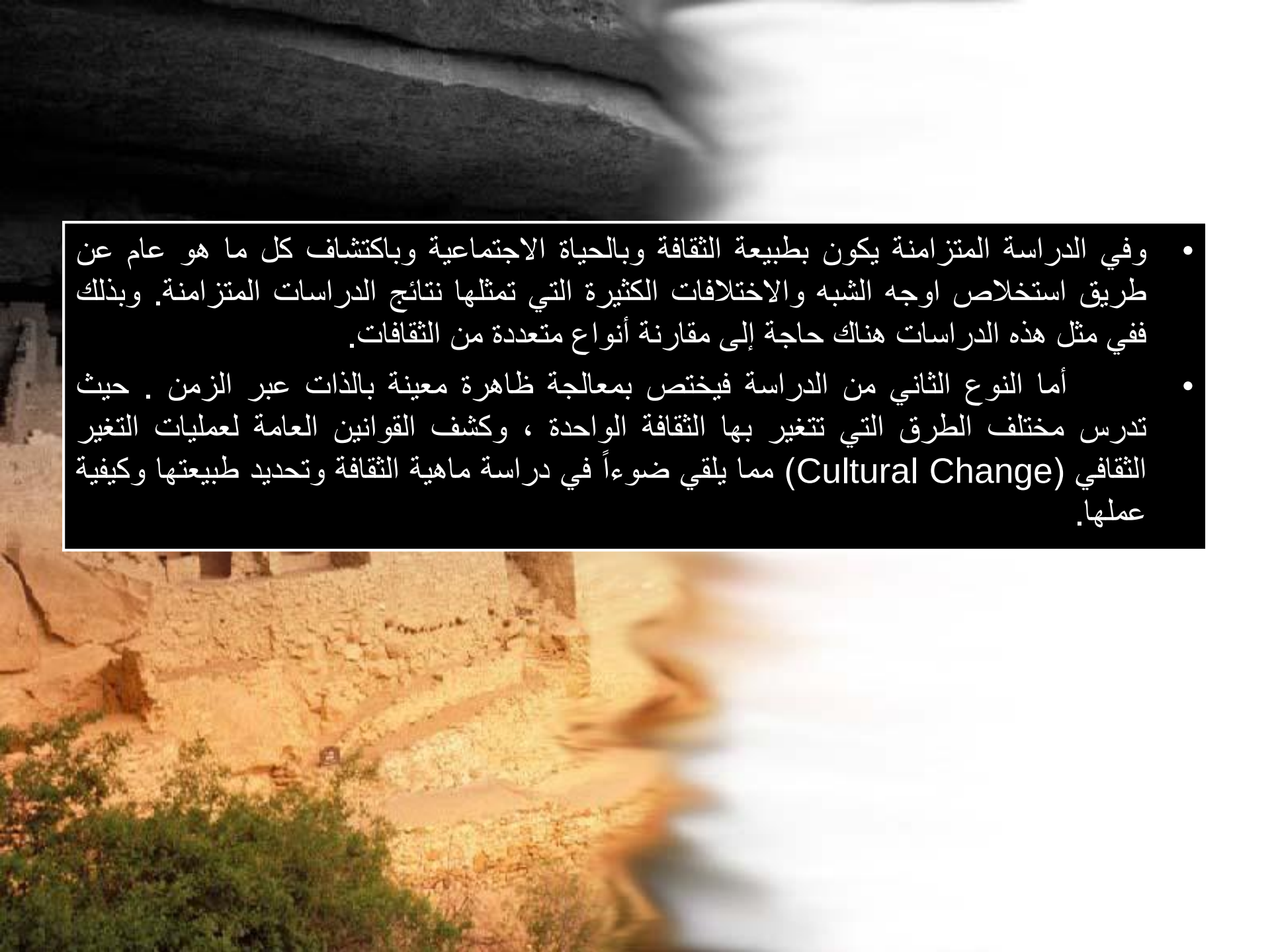

- وفي الدراسة المتزامنة يكون بطبيعة الثقافة وبالحياة الاجتماعية وباكتشاف كل ما هو عام عن طريق استخلاص اوجه الشبه والاختلافات الكثيرة التي تمثلها نتائج الدراسات المتزامنة. وبذلك ففي مثل هذه الدراسات هناك حاجة إلى مقارنة أنواع متعددة من الثقافات.
- أما النوع الثاني من الدراسة فيختص بمعالجة ظاهرة معينة بالذات عبر الزمن . حيث تدرس مختلف الطرق التي تتغير بها الثقافة الواحدة ، وكشف القوانين العامة لعمليات التغير الثقافي (Cultural Change) مما يلقي ضوءاً في دراسة ماهية الثقافة وتحديد طبيعتها وكيفية عملها.

منهج التاريخ السلالي

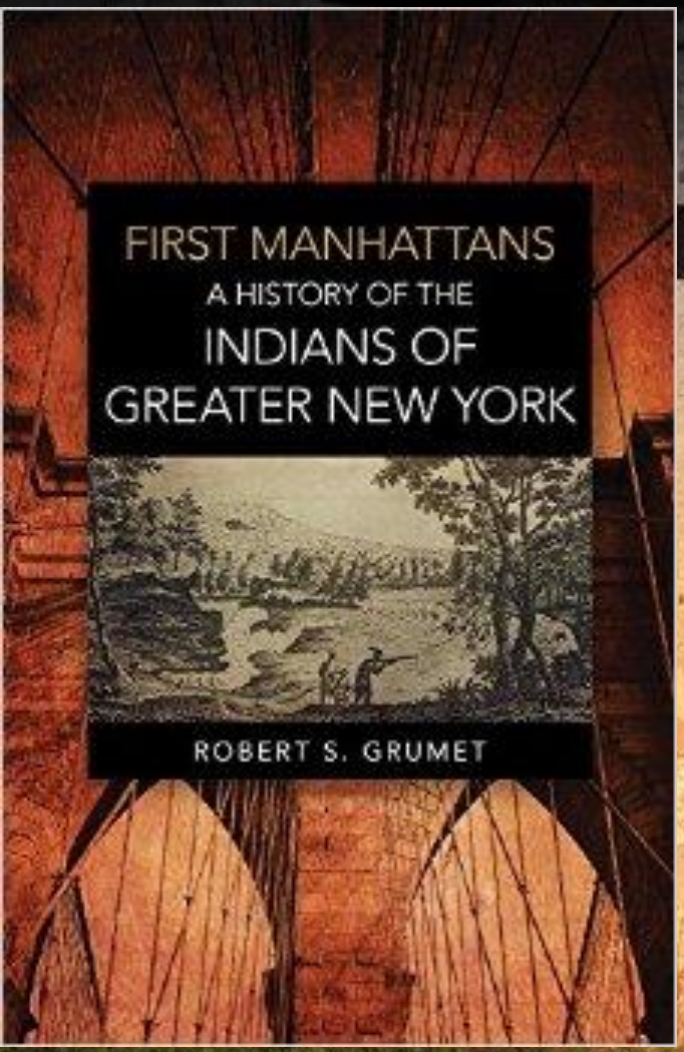

- استخدم هذا المصطلح (والذي سنطلق عليه هنا اسم التاريخ السلالي) لأول مرة في عام 1909 في مقدمة سلسلة من التقارير الآثارية المبدئية لدراسات متعلقة بهنود جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية (The Indians of Greater New York and the Lower Hudson) والتي كتب مقدمتها محرر تلك التقارير كلارك وسلير (Clark Wissler). وقد استخدم في هذه التقارير منهج يشتمل على تركيب اثنوغرافيا السكان منذ استيطانهم في المنطقة المحددة من خلال استخدام المعلومات الثقافية المتجسدة في القصص التاريخية. بمعنى آخر هدفت هذه الدراسات التي تناولت هنود منطقة نيويورك إلى خلق وصف مركب ومعقد لثقافة بسيطة من خلال استنتاج المعلومات الاثنولوجية والاثنوغرافية المتجسدة في القصص التاريخية والمعلومات التي يتم الحصول عليها من الحفريات الأثرية.

- وفي هذه التقارير وضح ان هناك نوعان من المناهج قد تم الاعتماد عليها . ففي أحد هذه التقارير وصف الباحث الانسون سكنير (Alanson Skinner) المواقع الأثرية والمواد التي عثر عليها من خلال عمله الميداني وقام بدراسة تاريخية واثنوغرافية بهدف الوصول الى إعادة تركيب ثقافة مجموعة بشرية محددة مع اعتماده على الكتابات المتوفرة والمعلومات الأثرية . ومن هنا نشأ المنهج الأول في دراسات علم التاريخ السلالي والذي يسعى إلى ربط الدراسات المختلفة مع بعضها البعض من اجل دراسة الثقافة والناس . ويمكن وصفه بأنه منهج نشأ من الاتجاه الأنثروبولوجي لالانسون سكنير الذي استخدم الأدلة المكتوبة ودعمها بالمعلومات الأثرية من اجل وصف الثقافة.

- اما المنهج الثاني فقد دعا إليه الباحث ريقنالد بولتون (Reginald Pelham Bolton) الذي اقترح في ذات التقارير مماثلات محددة لقرى هندية عديدة في شمالي منهاتن مقدماً في تقريره اكثر محاولات المعالجة التاريخية تفصيلاً. وبذلك نشأ المنهج الثاني مستنداً على الاتجاه التاريخي لبولتون . ويقترح المنهج الثاني وجود اتصال محتمل للتاريخ الموثق مع المخلفات الأثرية حيث يمكن التعرف على مواقع أثرية بمقابلتها بمواقع ورد ذكرها في النصوص المكتوبة .

علم الآثار التجريبي

- يمكن اعتباره أداة لمساعدة علماء الآثار في تفسير المخلفات التي بين أيديهم وذلك بإجراء التجارب التي من خلالها يحاولون إنتاج نفس أشكال الأدوات والإنشاءات المعمارية التي يعثرون عليها في المواقع الأثرية.
- ويمكن إجراء هذه التجارب على مستويين:
- الأول: إعادة خلق هذه الأشكال التي يعثر عليها اثارياً.
- الثاني: محاولة إيجاد وظيفة وطرق استعمال هذه الأشكال.
- أما القواعد التي يجب مراعاتها عند إجراء التجارب الأثرية فهي:
- استعمال نفس المواد والخامات التي كانت تستعمل أصلا في المجتمعات القديمة.
- استخدام طرق وأساليب مشابهة أو يعتقد أنها كانت شائعة في الماضي.
- لا بد من تكرار التجارب لتجنب النتائج الاستثنائية أو الصدف.
- لا يجوز اتخاذ نتائج التجارب كدليل أكيد على استخدام تقنية معينة في الماضي.